Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من وصوله ، أصابه المرض ، وتوفى فى مراكش نفسها ، ويقدم لنا المؤرخون تفسيرين لموته : بعضهم يراه موتا طبيعيا ، وآخرون يرون أنه مات مسمومًا .

لقد رأى **قاضى المرية** ، **ابن الأسود** ، فشل غاياته الحاقدة ضد **ابن العريف** . فالسلطان أحسن إليه ، وأغدق عليه ، ففكر أن يحتال فى أمره ، وأن يقدم له فى الطعام بذنجانا مسموما ، فمات منه فى مراكش عام ٥٣٦ هـ = ١١٤١ م ، ولكن أحد تلاميذه المخلصين ، **أبا عبد الله الغزّال المريّى** ، يرى أن التفسير الأول هو الأصح والأدق ، وأن شيخه رحل عن دنيانا فى ظروف طبيعية ، وأن وفاته كانت فى مدينة سبتة نفسها ، قبل أن يُقاد إلى **مراكش** ، ولو أن كل الذين ترجموا له يجمعون على أنه دُفن فى هذه المدينة الأخيرة ، وأن قبره كان إلى جوار قبر **ابن البرجان** ، والذى توفى فى مدينة مراكش أيضا ، بعد أيام قليلة من دعوة السلطان له ، مثله فى ذلك مثل **ابن العريف**(٧) .

أحدثت شهرة ابن العريف وليا ، والظروف الغامضة التى توفى فيها ، أثرا عميقا فى نفس السلطان ، وبخاصة عندما دفن زاهد المرية ، فقد حزن عليه الناس حزنا عميقا ، وتدفقوا فى أعداد هائلة يريدون أن يصحبوا النعش إلى مقره الأخير ، وندم على أنه أعار سمعه لاتهامات قاضى المرية ضد ابن العريف ، وشك فى أمر القاضى ، وأمر بإجراء تحقيق حول ما حدث وأسبابه . وجاءت التقارير تؤكد كلها اضطهاد قاضى المرية لابن العريف ، وترد ذلك إلى غيرته وسوء دخيلته ، وأنه افتعل التهمة بهدف إخراجه من المدينة وقتله ، وحين فشل فى تحقيق غايته دس له السم . وحلف السلطان حينئذ أن يطبق على ابن الأسود حكم القصاص ، وأصدر فعلا أوامره المناسبة بأن يقيد وأن ينفى إلى السوس الأقصى ، حيث مات مسموما ، بنفس الطريقة التى قتل بها ابن العريف .

---

(٧) تضيف المخطوطة رقم ٧٦ من مجموعة جيانجوس ، الورقة رقم ٣٨ وجه ، أن ابن العريف دفن قريبا من المسجد الجامع العتيق ، الذى فى وسط مراكش ، فى روضة القاضى موسى بن حمه الصنهاجى ويحدد ابن شكوال تاريخ وفاته الدقيق وأنه وقع « ليلة الجمعة ، صدر الليل ، ودفن يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر ، سنة ست وثلاثين وخمسمائة » أى فى ٢٧ سبتمبر ١١٤١ م . أما تاريخ مولده فأشار إليه ابن خلكان ، وهو عام ٤٨١ هـ ، يوم الاثنين ٢ من جمادى الأولى أى فى ٢٤ يولية ١٠٨٨ م . وطبقا له أيضا ، توفى ابن العريف وله من العمر ثلاثة وخمسون عاما .